(١)

حقوق الوالدين وذوي الأرحام

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ .

وبعد :

فقد جاء الإسلام برسالة سمحةٍ ، تدعو إلى كل خلق كريم ، وتُؤَصِّلُ لكل مبدأ نبيل ، وتُرشد إلى كل سلوكٍ مستقيم ، وتجعل من القيم والمثل العليا منهج حياة ، يضبط ميزان المعاملات بين الناس بالحق ، والعدل ، والرحمة ، والمحبة ، والإنسانية، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} .

وإن من مظاهر عظمة الشريعة الإسلامية أنها وضعت قواعد وضوابط وحقوقًا للتعامل مع الوالدين والأقربين ؛ فالوالدان هما أحق الناس **بالاحترام** ، **والتقدير** ، **والعناية** ، فقد أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم ببر الوالدين ، والإحسان إليهما ، وجمع سبحانه بين ذلك وبين الأمر بعبادته تعالى وعدم الإشراك به ، حيثُ يقول سبحانه : {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} ، كما أمر سبحانه بشكره على نعمه ، وقرن شكر الوالدين بشكره ؛ لعظيم فضلهما ، وسمو منزلتهما ، ورفعة قدرهما ، قال سيدنا عبد الله بن عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) : ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثٍ ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ بِغَيْرِ قَرِينَتِهَا ، ومنها : قَوْله تَعَالَى : {أَنْ اُشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} ، فَمَنْ شَكَرَ لله ، وَلَمْ يَشْكُرْ وَالِدَيْهِ ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ .

لقد أعلى الإسلام من شأن الوالدين ، **وأمر ببرهما** ، **وحسن رعايتهما** ، **والتلطف معهما** ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ لَه النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ .

ولقد ضربت ابنتا الرجل الصالح في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) أروع الأمثلة في البر وحسن الرعاية ؛ فقد كان أبوهما شيخًا كبيرًا ، لا يقوى على العمل ، فقامتا بالعمل بدلًا منه ، دون تأففٍ ، أو ضجر ، قال تعالى : {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} .

وعن جابر (رضي الله عنه) أن رجلًا قال : يا رسول الله إن لي مالًا وولدًا ، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ).

ولنا القدوة الحسنة في السيدة فاطمة (رضي الله عنها) في تودها ، واحترامها، وتلطفها مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ فقد كانت إِذَا دَخَلَ عَلَيها (صلى الله عليه وسلم) ، قامت مِنْ مَجْلِسِهَا ، فَقَبَّلَتْهُ ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا ، تلطفًا معه ، وفرحًا بقدومه ، وإجلالًا لقدره (صلى الله عليه وسلم).

كما أمرنا الإسلام **بتوقير الوالدين** ، **وعدم إيذائهما** ، فقال تعالى : {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} ، فقد نهى الله تعالى الإنسان عن أدنى كلمة تعبر عن الضجر ، ولو كان هناك كلمة أدنى من كلمة "أف" لنهى الله (عز وجل) عنها ، فالأولى ألا يتسبب الإنسان في أذاهما ، أو الإساءة إليهما بأي صورة من الصور، فقد قال سيدنا أبو هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) لِرَجُلٍ – وَهُوَ يَعِظُهُ فِي بِرِّ أَبِيهِ – : " لَا تَمْشِ أَمَامَ أَبِيكَ ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ ، وَلَا

تَدَعُوهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَسْتَسِبَّ لَهُ" ، أي : لا تُعَرِّضْه للسبِّ ، فلا ينبغي أن يتسبب المسلم في أي أذى لوالديه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إنّ مِن أكبَرِ الكَبائِرِ أنْ يَلعَنَ الرجُلُ والِدَيه) ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ، وكيفَ يَلعَنُ الرجُلُ أبَوَيه؟ قال: (يَسُبُ الرجُلُ الرجُلَ، فيَسُبُ أباه ، ويَسُبُ الرجُلُ أُمَّه ، فيَسُبُ أُمَّه) .

ولقد أوصى الإسلام ببر الوالدين ، وحسن صحبتهما ، **حتى ولو كانا على غير الملة**، حيث يقول الحق سبحانه : {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} ، وهذا ما كان من سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في دعوته مع أبيه ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه : {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} .

وهذه أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) ، تأتيها أمها – وهي مشركة – راغبة : فسألت النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك ، قالت : يا رسول الله ، قدمت عليَّ أمي وهي راغبة ، أفأصِلُ أمِّي؟ قال: (نَعَمْ ، صِلِي أُمَّكِ) .

إن للبر بالوالدين آثارًا، وفوائد عظيمة ، وفضائل جليلة ، يجنيها العبد في الدنيا والآخرة ، منها : أنَّ بر الوالدين سبب **في رضا الله تعالى** ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم): (رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ).

ومنها: أنه **سبب في تفريج الكربات** ، فقد ذكر لنا النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حال ثلاثة نفر ألجأهم المطرُ إلى غارٍ في جبلٍ ، فوقعت صخرةٌ على باب الغار فأغلقته عليهم ، فقالوا : إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هذِه الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللَّهَ (عز وجل)

بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ ، فَقالَ رَجُلٌ منهمْ : " اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا ، قَبْلَ بَنِيَّ ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ ، فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا ، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ – أي : يصيحون من الجوعِ – عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ لَنَا فَرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، فَفَرَجَ اللَّهُ ، فَرَأَوُا السَّمَاءَ ... " ، فكان بره بأبويه سببا في تفريج كربته ونجاته .

ومنها: أن من برَّ والديه برَّه أبناؤه ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، وقد كافأ الله (عز وجل) سيدنا إبراهيم (عليه السلام) على حسن خلقه مع أبيه في دعوته ، وبرِّه به أن رزقه برَّ ولده سيدنا إسماعيل (عليه السلام) ، وقد ذكر القرآن الكريم لنا ذلك في الحديث عن صورة من أرقي صور الطاعة ، والبر بالوالد ، فقال تعالى : {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} .

وكما أن لبر الوالدين ثمراته في الدنيا ، فهو أيضًا **سبب في سعادة المسلم في الآخرة بدخول الجنة** ، فقد جاء رجل إلى النبيّ (صلى الله عليه وسلم) يستأذنه في الجهاد ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (هَلْ لَكَ مِن أُمٍّ؟) ، قال : نعم ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (فَالْزَمْهَا ، فَإِنَّ الجَنَّةَ عِندَ رِجْلِها) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (الوالدُ أوسطُ أبواب الجنة ، فإن شئتَ فحافظْ على الباب أو ضيِّعْ) ، وقال ابن عمر (رضي الله عنهما) لرجل : أَتَفْرَقُ النَّارَ – أي : أتخاف وتفزع من النار – وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قال : إي والله ، قال : أحيٌّ والداك؟ قال : عندي أمي ، قال : فَوَ اللَّهِ ، لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الْكَلَامَ ، وَأَطْعَمْتَهَا الطَّعَامَ ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الكبائر .

على أننا نؤكد أن الإنسان مهما قدم لوالديه من بر وإحسان فلن يوفهما حقهما ، ولن يرد جميلهما، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ) .

أقولُ قولِي هذا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ .

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلّ وسلمْ وَبارك عليهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ .

إخوةَ الإسلام :

كما أوصى الإسلام بالوالدين ، أوصى بذوي الأرحام ، وهم من يرتبط الإنسان معهم بقرابة ، وجعل لهم حقوقًا ، قال تعالى : {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّه تَعَالى خَلَقَ الخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ ، قَامَتِ الرَّحِمُ ، فَقَالَتْ : هَذَا مقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قال : فذَلِكَ لَكِ) ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) : (اقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ : {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}) .

وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (قَالَ اللَّهُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) : أَنَا اللَّهُ ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ) .

وتتحقق صلة ذوي الأرحام **بزيارتهم** ، **وتفقد أحوالهم** ، **ومعاونتهم**، قال (صلى الله عليه وسلم) : (الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ؛ صِلَةٌ ،

وَصَدَقَةٌ) ، كما تتحقق كذلك بإجابة دعوتهم ، وعيادة مريضهم ، واتباع جنائزهم، كما ينبغي توقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم ، وسلامة الصدر نحوهم ، والدعاء لهم .

ولقد جعل الله (عز وجل) صلة الرحم **سببًا في بركة العمر** ، **وسعة الرزق** ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ ، وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ، كما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن صلة الرحم **سبب في مغفرة الذنوب** ، فقد جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟) ، قَالَ : لاَ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟) ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (فَبِرَّهَا) .

فيجب على **الإنسان أن يحذر من القطيعة** ، **وأن لا يرد السيئة بالسيئة** ، بل يعفو ويصفح ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) .وجاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ) .

لقد نهى الإسلام عن القطيعة ، وحذر من عواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا ، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، مِنَ الْبَغْيِ ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ) ؛ يعني : قاطع رحم .

فلنتق الله في آبائنا وأمهاتنا ، ولنصل أرحامنا ، ولنحسن إلى الناس أجمعين.

اللهم وفقنا للبر بآبائنا ، وأمهاتنا ، واجعلنا واصلين لأرحامنا ، واحفظ شعبنا ، واجعل مصرنا بلدًا آمنًا ، سخاء ، رخاء ، سلمًا سلاما ، وسائر بلاد العالمين .